المحاضرة الرابعة: المسار الفلسفي المنطقي

تواشج المنطقي واللغوي في فلسفة لودفيغ فتغنشتاين

تمهيد:

يعد الفيلسوف النمساوي البريطاني فتغنشتاين" l.wittgenstien" أحد أبرز المفكرين وأعلام التحليل اللغوي في القرن العشرين، وتمثل نظرياته منعطفات مهمة في فلسفة اللغة عموما وفي تداولية اللغة بالخصوص، كما يعد علامة فاصلة في فكر مابعد الحداثة، ويحسب له تأسيس التفلسف الحداثي وبيان حدوده ثم نقضه والقول بعدم جدواه في كثير من الأحيان.إنه الفيلسوف الذي ناقض نفسه وألغى عمل كل من سبقه من الفلاسفة، بل ناهض الفلسفة نفسها.

1/ من التراكتاتوس إلى التحقيقات الفلسفية:

خلف فتغنشتاين نظريتين متناقضتين في فهم طبيعة المنطق واللغة، فقد ضمن كتابه "رسالة منطقية فلسفية" المعروف بالتراكتاتوس والواقع في ثمانين صفحة، نظرة أولية لعلاقة اللغة بالواقع وبالعالم، ناقضها في كتابه الثاني الذي صدر بعد وفاته وعنوانه" التحقيقات الفلسفية".

إدعى فتغنشتاين في التراكتاتوس أن" الفكر وطبيعة العالم نفسه يشتركان في بنية واردة في قوانين الفكر المنطقي، واللغة المسخدمة للرموز مرتبة وفقا لهذا المنطق من أجل تصوير محاكاة أو نموذج لما يجري في العالم" وهذا التعميم الواقع في فهم الفيلسوف لعلاقة اللغة بالوجود مرده محاولة تقديم حل للمشاكل الفلسفية الناتجة عن سوء استخدام اللغة وإيجاد سبل التفكير الواضح، أو لنقل محاولة إيجاد حلول فلسفية في مسألة التواصل وقول مالا يمكن قوله.

إن كتاب "رسالة منطقية فلسفية" وإن كان كتابا معقدا في طرحه إلا أنه حاول ربط اللغة بعدها أصواتا وكلمات بمعانيها التداولية، فقد رأى فتغنشتاين أننا نحاول منذ آلاف السنين أن نفهم العالم والوجود من خلال تفكيرنا، غير مدركين أن المشكلة ليست في فهمنا القاصر لهما، وإنما المشكلة الحقيقة في قصورنا اللغوي، فالقصور اللغوي هو أساس القصور الفكري ولذلك لاوجود للفلسفة لأن التفلسف هو نتيجة حتمية لضعفنا في فهم اللغة. ومن ثمة لاوجود لمعضلات فلسفية بل هناك معضلات لغوية وأخرى رياضية وثالثة أخلاقية، إذن طريق الفلسفة في فهم الوجود والطبيعة يوقعنا في مشكلات لغوية لا مشكلات فلسفية، وكل المشكلات الفلسفية في حقيقتها هي نتيجة حتمية لمحاولتنا قول مالايمكن أن يقال.

حتى نصل إلى توافق منطقي بين المشكلة اللغوية والمشكلة المنطقية في التفكير، يقترح فتغنشتاين أن نجعل اللغة وسيلة في التفكير وليست آداة في وصف العالم، وأن حدود التفكير هي حدود اللغة، وحدود اللغة مرهونة بقصور الإنسان في ملاحظة وتأمل العالم، إذن ماهي حدود التفكير؟ وماهي حدود اللغة؟

إن اللغة تصويرية بطبيعتها حسب لودفيغ،إننانستعمل كلمات للأشياء التي نراها، تلك التي لنا صورة عنها فقط، إننا نعبر عن الجوانب المادية للأشياء فقط وما لا نلاحظه ونراه علينا تجاهله،وبناء على هذا يجب أن نخلص تفكيرنا من العالم الميتافيزيقي ومن القضايا الروحية لأننا لا نراها، وعلينا أن نركز على الموضوع المدرك الملاحظ والمشاهد فقط، وهذه النظرية تسمى نظرية الصورة للغة أو نظرية الصورة للمعنى، وهي النظرية التي حاول من خلالها تفسير تواصل الناس فيما بينهم، وكيف ينقل المتحدث أفكاره دون معاني.

ولعل نظرية الصورة للغة نظرية أساسها الوضعية المنطقية [*]، والذرية المنطقيةء والروابط [*] وهي نظريات في فهم الحقائق وكيفية استخدام اللغة في فهم الحقائق، وهنا حاول فتغنشتاين فهم العلاقة بين اللغة والعالم ولكن بشكل أساسي المظاهر المنطقية والرياضية لهذه العلاقة، انطلاقا من فرضية أساسية هي : بنية اللغة تتكون من افتراضات معقدة(افتراضات ذرية) مثل الأسماء والروابط والحروف ، وذلك لأن اللغة تستخدم لوصف الأشياء البسيطة التي يتم دمجها مع بنية معقدة للعالم، لذلك فإن اللغة في علاقاتها الاتصالية بالعالم هي علاقة تصويرية، إذن الكلمات هي صورة للعالمن ولوصف الواقع.

لقد استلهم فتغنشتاين هذه النظرية من خلال قراءته لقضية في إحدى محاكم باريس، حيث كان على المحكمة وهيأتها استخدام الألعاب أو النماذج التصويرية سبيلا لتمثيل وفهم ملابسات وفاة شخص جراء حادث مروري، باستخدام سيارات مصغرة وألعاب لوصف ماجرى.وكان لزاما فق هذا تحديد الألعاب التي تتوافر والأحداث التي جرت بألوانها وأشكالها. وكان غاية العلاقات هنا تمثيل الأشياء في وقائع لغوية. وهنا لاحظ فتغنشتاين أنه من أجل فهم أفضل للعالم كنا بحاجة إلى تمثل تصويري لعرض ما حدث وما كان ليحدث. بل إن البنية المنطقية للصورة متطابقة مع البنية اللغوية ؛ إذن الافتراضات اللغوية مستمدة من الواقع المنطقي التصويري.كما خلص فتغنشتاين أنه دون البنية المنطقية في عقولنا المجسدة في استخدام الرموز والاشارات البسيطة لا يمكن للمعاني أن تستقيم فالمعنى جزء من بنية منطقية تتحول معها المقترحات ذات الصلة بالواقع إلى فرضيات صحيحة.وبناء على ماسبق؛ جميع المشكلات الفلسفية عمادها محاولة قول مالا يمكن قوله.

---

[*] الوضعية المنطقية اتجاه فلسفي لبرتراند راسل الذي أصبح زميلا فكريا للودفيغ حين حاول هذا الأخير التتلمذ عنده، ظهر هذا الاتجاه في القرن العشرين، ويعول هذا الاتجاه على التجارب سبيلا لتحقيق الدقة والبناء المنطقي للمعرفة العلمية،وغاية هذا الاتجاه تنظيم المعرفة داخل نسق وحدة العلم، كي يزيل الفروق بين العلوم المختلفة بدوى أنه لا يمكن قيام فلسفة علمية أصيلة إلا بواسطة التحليل المنطقي للعلم.

[*] الذرية المنطقية من بنات أفكار فيتنشتاين يرى فيها أن الافتراضات اللغوية تنبني إنطلاقا من عناصر تتوافق مع المكونات الأساسية للعالم.

ثانيا:الانقلاب على نظرية الصورة للغة في " التحقيقات الفلسفية"

انقلب فتغنشتاين في كتابه الثاني الذي صدر بعد وفاته " التحقيقات الفلسفية " على ما قدمه التراكتاتوس مؤكدا أن كل ماجاء فيه أفرط في تبسيط الفكر،وأن" الفكر واللغة يلقيان معناهما بكل بساطة من فائدتهما في سياقات أو ثقافات محددة، وبذلك يتحقق التعبير الواضح عن طريق الاستفسار من منظور أنثربولوجي عن الأمثلة الفعلية لاستخدام كلمة أو عبارات من حيث منطقها المعطى محليا".

إذن هذا الإنقلاب أساسه التحول من التبسيط إلى التعقيد ومن التعميم إلى التخصيص، وأن الكلمات لا تحصل على معانيها من وصف الأشياء، وأن " ليس أمرا عرضيا الافتراضات أو التصويرات المختلفة من وجهات نظر اجتماعية مختلفة حسب وزن الكلمة أو وقعها في مجتمع دون غيره"، إذن الحب والألم والشعور مشكلات لغوية تساهم فيها التصويرات الاجتماعية الثقافية وليست تساؤلات فلسفية، ولا يمكننا الإجابة عنها فلسفيا.

استلهم فتغنشتاين هذا الانقلاب من إحدى رحلاته في قطار جلس معه خبير اقتصادي معجب بكتاباته وآرائه الفلسفية،وتبادل معه النقاش في مسألة منطق اللغة، وأن الكلمات لها صورة منطقية مستمدة من الواقع،أو أن الافتراض وما يصفه المتحدث يجب أن يكون له نفس الشكل المنطقي ونفس التعددية المنطقية للصورة في الذهن، قام الخبير الاقتصادي بإيماءة مألوفة عند سكان نابولي الإيطالية ، وهو أن يضع يده تحت ذقنه ويسحبه تعبير عن الاشمئزاز أو السخرية، وسأله عن الشكل المنطقي لهذه الإشارة التي تحمل لغة غير منطوقة،حينها أدرك فتغنشتاين أن البنية المنطقية لهذه الحركة في لغة الجسد أو الافتراض له شكل منطقي، وأن اللغة يجب أن تتمتع ببنية منطقية لا ببنية تصورية ذات صور،وهنا رفض ما قال به من ذرية منطقية وجاءنا بنظرية ألعاب اللغة أو بنظرية المنظور واللغة الخاصة.التي قوامها " حيث لا يستطيع المرء أن يتكلم عليه أن يصمت".

ورأى فغنشتاين أن بعضا من الجمل قابلة للتأويل بعدة أشكال من قبل أشخاص مختلفين في ظروف مختلفة، فميزان العدالة مثلا رمز للعدل لمن انتصر في العدالة ورمز للظلم لمن قهرته العدالة باسم القانون، والأخلاق مثلا تختلف باختلاف البيئة والعادات، وعلى هذا فسر لنا فغنشتاين الجمل ننطقها حين عجزنا عن الوصف كقولنا: الكلمات تعجز عن شكرك.

واستند لودفيغ في هذا لتجربة الخنفساء الشهيرة، فافترض أن مجموعة من الأشخاص يحملون مجموعة من الصناديق.كل صندوق بداخله خنفساء، ولا يسمح لأي شخص بالنظر إلى صندوق الآخرين، بحيث يستطيع كل شخص النظر داخل صندوقه فقط، وحاول في هذا السياق دفع الإشكالات الآتية إلى بر الفرضيات: بالاعتماد فقط على الكلمات هل يمكن لأي شخص أن يعرف ما الذي لدى الشخص الآخر،

هل هي نفس الخنفساء أم شيء مختلف تماما؟ هل يمكن لأي شخص أن يعرف كيف تبدو خنفساء الشخص الآخر؟

إذن دلالة كلمة خنفساء هي لا تعني بالضرورة الخنفساء التي تعرفها أنت وتفهمها أنت، وهكذا هي الحالات والأحاسيس التي في خلجات النفس أشياء نعرفها فقط ولا نعبر عنها مثل الحب والألم والسعادة، ولايمكن للإنسان نقلها لغيره لمشاركته تجربته، الصناديق في حقيقة التجربة هي العقول والأذهان ،أما الخنفساء فهي الإحساس والشعور، فلايمكن للفرد رؤية خنفساء غيره أبدا كما لايمكن للغير رؤية خنفساء الفرد مطلقا.